15 - المرجع السابق ص .495

16 -المرجع السابق ص 496.

الفصل الثاني

الذات العملاقة والآخر القزم

كل الحضارات الكبرى عبر التاريخ اعتبرت نفسها مركزاً للكون عندما كانت في حالة من التسيّد والعنفوان. ولا يزال أبناء هذه الحضارات يخامرهم الشعور بذلك. ويعبرون عنه، خاصة عندما يشعرون بالحاجة إلى التعويض عن الواقع الرديء الذي لا يشاكل الماضي المجيد ولا شك أننا كعرب خير من يمثل هذه الحالة، فلا يزال تاريخنا ملاذاً لنا ونموذجاً يستعاد تعويضاً عن حاضر فرّطنا به وفشلنا في تجييره لصالحنا. فـ ((الأنوية الحضارية هي ملازمة لكل أشكال الحضارات، ليس ثمة حضارة قامت في التاريخ لم تنظر لنفسها وكأنها مركز العالم)) (1)

إن الشعور بانتفاخ الذات انتفاخاً حضارياً يستتبع النظر إلى الآخر باعتباره قزماً، وعند هذه النقطة توضع حجر الأساس للصدام، فالكبير يرى أن من حقه أن يزيح الصغير عن طريقه لأنه لاحق له أولا تتيح له امكاناته منافسة أو مزاحمة الكبير، بالتالي عليه أن يتطوع في خدمته أو يلاقي مصيراً بائساً.

إذن، حالة الغرب الحالية، أي الإفراط في التمركز حول الذات، ليست حالة فريدة في التاريخ، لكنها الأكثر جبروتاً وعدوانية وتغطرساً، بل الأكثر تمدداً وشعوراً أنه من حقها أن تكون كذلك، ومن واجب الشعوب، بل من الأضمن لها ولسلامتها، ألا تكون في حالة من المواجهة مع هذه الذات المتمددة والمتغطرسة والمتسحلة

obeikandi.com

بكل عناصر التفوق والقهر التي لم تكن تمتلكها أية حضارة أخرى كما تمتلكها الحضارة الغربية التي عملت على توسيع حاجات الناس، وعملت على التحكم بإشباع هذه الحاجات.

ويبدو أن مثل هذه الذات المتغطرسة، لا تشعر أن لعنفوانها بداية أو نهاية، وإذا شعرت بأن هناك بداية فهي أبعد عن الشعور بأن هناك نهاية. يترجم هذا الشعور إغلاق حركة التاريخ والحياة بعد أن وصلت إلى مالا مطمح بعده، حسب نظرية فوكوياما ((نهاية التاريخ))، وتأبيد الديمقراطية الليبرالية كملاذ للبشرية إذا أرادت البقاء.

الحضارات وملء الفراغ

تقوم الحضارات على التعاقب، فترث اللاحقة السابقة. والوراثة لا تعني أن الموروث مات وانتهى، فالحضارات ليست جسماً مادياً حياً يتفسخ، إنها قيم ومعاني ورموز تعمل على مبدأ التراكم، وهذا ما به تقوم الحضارات فتسمى حضارات، إذن عندما يبقى هذا يعني أن الحضارة باقية حتى ولو مات ناسها، ولم تعد قيمها ورموزها ترضي طموح الحياة، لكنها تبقى في صميم لاحقاتها من الحضارات. فلا بد للحضارة اللاحقة أن تتمثل وتطوي في حركتها الصاعدة ما سبقها من قيم وخبرات الحضارات السابقة. يقول أدونيس: ((إذا لم تر في المركبة الفضائية الدولاب السومري فأنت لست حديثاً))(2) .

لا تبدأ الحضارة الجديدة من البداية، بل تبدأ من حيث انتهت إليه سابقتها على مبدأ التراكم.

ولو لم يحدث ذلك لما حدث التطور، ولا تكون الحضارة حضارة ما لم تستثمر ما وصلت إليه سابقاتها وتضيف إليه مما تستطيع ابتكاره، وإذا لم تبتكر جديداً فلا تستحق اسم حضارة، لأنها تعيش على وبما أوجده غيرها، مما لا ينتسب إليها. فكيف تكون حضارة وليس لها ما به تكون حضارة؟!

إذن، العاملان الرئيسيان في أية حضارة لتستحق هذا الاسم:

obeikandi.com

1 - الموروث القادر على الاستمرار، أي العطاء في المستقبل.

2 - تطوير هذا الموروث والانتقال منه إلى ما هو أفضل.

وفي الدليل على ذلك نشير إلى أن السومريين هم أول من أوجد كتابة في التاريخ، كما أوجدوا العجلة والمحراث والنظام العشري، وقسموا الدائرة إلى /360/ درجة، وقسموا السنة إلى 365 يوماً، ووضعوا أسس الرياضيات والفلك وبنوا المعابد وأسسوا نظم الحكم والإدارة وصاغوا الشارئع المكتوبة. (3)

وإلى المعنى ذاته تشير د. نجاح كاظم، فتقول: ((ونجد الإشارة إلى أن النظام الستيني (تقسيم الساعة إلى 60 دقيقة وغيرها) تم تطويره من قبل السومريين والبابليين في حضارة وادي الرافدين، وتقسيم اليوم إلى 24 ساعة تم تطويره من قبل الفراعنة في مصر القديمة. أما جهاز الساعة فقدتم تطويره من قبل العباسيين في بغداد)) (4). على هذه الأسس وبالعمل على تطويرها من قبل اللاحقين، وهكذا بالتتابع والتوارث والتطوير نصل إلى ما نراه ملء العقل والبصر في عصرنا هذا.

والسؤال الذي يخطر على البال: ماذا كان سيحصل لو أنه كان على كل حضارة أن تبدأ بتجاربها لإيجاد ما أوجده السومريون وغيرهم مما استغرق آلاف السنين، ليمحي من جديد وتبدأ غيرها بداية جديدة؟ هل كنا غادرنا البدايات؟

يظهر هذا الكلام بعض التعارض أو الرد على ما طرحه إدريس هاني، الذي يرى: ((أن أنسب عنوان للحوار، هو الحوار الحضاري بين الثقافات. وليس ثمة على الإطلاق شيء اسمه الحوار بين الحضارات، لسبب بسيط هو أنه ليس ثمة حضارات تتعاصر في آن واحد.... الحضارات لا تتحاور، الحضارات تتناوب)) (5) ويرى أن ((لغة الإنتاج والإبداع والصنائع، هي لغة الحضارة السائدة منذ اكتشف الإنسان النار. فالقول بـ ((الحوار بين الحضارات)) جهل مركب بالحضارة، و((الصدام بين الحضارات))، سالبة لانتقاء الموضوع))(6) فهو لا يرى أنه يوجد في العالم أكثر من حضارة واحدة هي المتغلبة والسائدة، والحضارات التي مرت سابقاً تحولت بفعل الزمن إلى ثقافات (تراثات).

لكن، إذا لم تكن هناك حضارات بالقوة ذاتها تتعايش في وقت واحد، فهذا لا يعني أن الحضارات الأخرى أو السابقة غير موجودة، إن ما هو موجود منها، هو

obeikandi.com

ما به كانت وتكون حضارة، ولولاه لما سميت كذلك، وهذا عندما يكون في حالة احتكاك مع قادم جديد، فإن الحضارة التي ينتمي إليها تكون موجودة وفي حالة حوار مع القادم الجديد. وهذا من أكبر أدلة حوار الحضارات وتوارثها لبعضها. وأيضاً هذا ينفي عن الثقافة أنها تعني ما لم يعد حياً في الحضارات، أي ما أصبح موروثاً خارج الاستعمال كما يفهم من كلام هاني.

صحيح أن توالد الحضارات ووجودها يمكن أن يطبق عليه مبدأ أصراع النقائض، المولد للجديد، وإن من سنن الحياة أن يتوارى ما لا يثبت جدارته وقدرته على البقاء، ليحل محله ما هو أجدر بالحياة وتطويرها، سواء على مستوى الحضارات العام أو على مستوى جزئيات كل حضارة. هذا ما نقصده بملء الفراغ الحضاري والبقاء للأجدر والأقوى حسب دوران. و ((الحضارة كالحياة، تفني ما بلغت به حد الكمال)) كما يقول ديورانت.

إن قانون ملء الفراغ يقضي بأن يحل الأقوى مكان الأضعف، أن تعمل حضارة ما بقوانينها ومعطياتها الداخلية على سد فراغ ناشئ عن قصور أو ضعف غيرها، فضعف تطور العلوم عند العرب في العصر الحديث أوجد فراغاً هائلاً لديهم بالنسبة إلى أمم أخرى،فكان تمدد العلوم الغربية لملء الفراغ أمراً طبيعياً وتلقائياً وضرورياً ولا يمكن وصفه بالمؤامرة، التي دأب البعض على ترديده. فالمؤامرة فعل سياسة لا فعل حضارة، يتطلب تواطأ وتوافق طرفين، والأمر لا يعدو كوننا في حالة من الضعف يجعلنا نصف سعي الآخر للهيمنة وتحقيق الذات أنه يدخل في باب المؤامرة، والحقيقة أن فراغاً حضارياً حصل عندنا فتمدد الغرب وسد هذا الفراغ برضانا وفعلنا وتحت أعيننا، وإذا لم يكن لدينا ما ندفع به الآخرين فلا يعني أنهم متآمرون علينا وأننا ضحيتهم، نحن ضحية ضعفنا لا ضحية مؤامرات موهومة.

إذا كنا نصف مثل هذا بأنه مؤامرة على العروبة والإسلام، فعلينا أن نصف فعلنا عندما سيطرنا على مواقع الكثير من الحضارات والشعوب، وشمل انتشار الحضارة العربية الإسلامية الغرب بعد إحكام القبضة على الأندلس، بأنه مؤامرة دبرناها ونفذناها بحق هذا الغرب البريء. بل وبحق غيره من الشعوب التي شملها

التمدد الحضاري للعرب والإسلام. إن ديناميكية صعود الحضارات وزوالها لا تتوقف، سواء شاء فوكوياما أم لم يشأ.

الموروث وتكوين ذات جديدة

الحضارة لا تنشأ من فراغ كما بينا، بل ترث ما قبلها وتعمل على تطويره، فإذا كانت قفزاتها الحضارية قفزات واسعة، بدا الفارق بين الموروث والمتحصل كبيراً فكأن هناك قطيعة، لكن الحقيقة أن حسن التعامل مع هذا الموروث هو الذي كان بمثابة المحرض والدافع الذي اختزن إمكانية الانطلاق منه. من هنا نرى تأكيد أكثر الحضارات على ارتباطها بماض ما وحسن تفعيل هذا الماضي والافتخار بهذا التفعيل وبالقيم المختزنة التي كانت عامل دفع نحو التجاوز.

الدكتور صلاح قانصوه في مقدمته لترجمة كتاب ((صدام الحضارات)) يتحدث عن الخصائص الحضارية التي يزعم هنتنجتون أن الغرب يتميز بها فيجعل في مقدمتها، التراث الكلاسيكي، (تراث اليونان والرومان) والمسيحية الغربية (الكاثوليكية والبروتسنانية دون الأرثوذكسية) واللغات الأوروبية، كل هذا أدى إلى ما لحق ذلك من الفصل بين السلطتين وحكم القانون والتعددية الاجتماعية والنزعة الفردية... إلخ. (7).

ويشير هنتنجتون إلى أن احتكاك الآخرين بمثل هذا التراث الذي احتكت به شعوب الغرب، كان احتكاكاً عقيماً وغير خلاق، وحده الغرب عرف كيف يفجر هذا التراث ويحفز قوى النهوض والتطور فيه، يدل على ذلك إشارته إلى احتكاك الإسلام بالفكر اليوناني دون أن يؤدي ذلك إلى مثل ما حدث في أوربا، مشيراً إلى أن مثل هذا الأمر سمة للحضارات الأخرى، يقول: ((استيعاب الصين للبوذية الهندية، كما يرى الباحثون، لم ينجح في ((تهنيد)) الصين الصينيون طوعوها لأهداف واحتياجات صينية وظلت الثقافة الصينية صينية كما هي. وإلى يومنا هذا هزم الصينيون كافة المحاولات الغربية المضنية لتحويلهم إلى المسيحية... وبالمثل استقبل العرب التراث الإغريقي وثمنوه واستخدموه لأسباب منفعية أساساً.. إلا أنهم عرفوا أيضاً كيف يتغاضوا عن كافة عناصر الفكر اليوناني التي قد تؤدي إلى صراع (الحق المبين) في مبادئهم وتعاليمهم القرآنية)) (8).

obeikandl.com

إن الإشارة إلى استخدام الفكر اليوناني من قبل العرب لأغراض منفعية يعني عدم قدرتهم اكتشاف واستخدم ما يختزنه من طاقات عرف الغرب كيف يوظفها في سبيل النهوض الحضاري، ويعزو ذلك إلى التعارض مع العقيدة. كل هذا للتأكيد أن الغرب وحده هو المؤهل وهو الذي استطاع تفجير الطاقات التي يختزنها هذا التراث، بالتالي يصبح من حقه أن يشير إلى أن : ((مفهوم الحضارة العالمية إنتاج مميز للحضارة الغربية)) و((في نهاية القرن العشرين فإن مفهوم (الحضارة العالمية)) يساعد على تبرير بسط السيطرة الثقافية الغربية على المجتمعات الأخرى وحاجة تلك المجتمعات إلى تقليد الممارسات الغربية)) (9) إن هذه الدعوة تذكرنا بدعوة شارل مالك لـ ((الدخول في حذاء الغرب))

قبل هنتنجتون يتحدث من هو أرفع مقاماً وأعلى كعباً في مجال الفكر والفلسفة عن أن الذروة الحضارية الغربية هي ثمرة طبيعية لما ورثته عن اليونان والرومان، يقول الفيلسوف كارل بوبر متحدثاً عن تفاؤلية العقلانية الإغريقية، تفاؤلية العقلانية في عصر النهضة - تفاؤلية العقلانية الأوروبية، مشيراً إلى جذور العقلانية الأوربي لدى اليونان، مما لا نجده عند غيرهم ((وهذا هو ما أسميه التفاؤلية الأبستمولوجية، وأحسب أن وجود هذا الاتجاه التفاؤلي مقصور على أوربا في قرنين أو ثلاثة للعقلانية الإغريقية وثلاثة قرون أو أربعة للنهضة الأوروبية الأمريكية))(10). وقد عقبت المترجمة أ.د. يمنى طريف الخولي بقولها:((هذه الثورة الأوروبية أو الغربية الفارغة لا تنم إلا عن جهل بوبر المطبق بذخائر الحضارات الأخرى...))(11) وتقول الاستاذة المترجمة في المقدمة التي تكتبها لترجمتها كتاب بوبر ((أسطورة الإطار)): ((إن قيم التنوير في الفلسفة الغربية تمثلت في طريق التقدم الواحد والوحيد الذي يرسمه العقل والذي قطعه الإنسان الأوربي باقتدار، ومن حقه وواجبه أن يفرضه على الشعوب الأخرى المختلفة طوعاً أو كرها)) وتقول عن بوبر الذي يعد آخر التنويريين العظام أنه لم يبرأ من وصمة الفكر الاستعماري ((ويناقش أحياناً حق الدول المتقدمة بل واجبها في فرض وصايتها على الدول المتخلفة ولتفكر ملياً: هل تعطيها الحرية أم ليس بعد!)) (12)

هل هناك تمركز يفوق هذا؟ وهل يؤسس هذا التمركز للصدام أم لا؟

opelkan.com

تبرز النرجسية الغربية واضحة، لا بل يتجاوز هنتنجتون حدود النرجسية إلى حد إبراز الآخرين بصورة أقزام، متغافلاً عن أن مستوى التطور العام في زمن اتصال العرب بالفكر اليوناني لم يكن يسمح بالوصول إلى ما وصلت إليه أوربا نتيجة هذا الاتصال، وينطوي هذا الموقف على اعتبار التراث اليوناني متفوقاً على غيره من تراثات الشعوب الأخرى، بالتالي إن اعتماد الحضارات الأخرى على هذا التراث للنهوض، سيعطيها ميزة على غيرها وهذا واضح في الكثير من أدبيات الغرب وغير الغرب، مع أنه ينطوي على تبخيس الحضارات الأخرى وتراثاتها.

إذا كان من الممكن القول إن التراث اليوناني لم يعد منذ الأزمنة القديمة حكراً على الأوروبيين، بل ربما أخصب في غير بلادهم، فقد كان هذا التراث الفلسفي بحاجة إلى رجل كابن رشد لشرحه وتقديمه حتى للأوروبيين بعد أن يضيف إليه ويغذيه بشحنات عربية إسلامية. لكن الأوروبيين يضيفون هذا التراث إلى غيره مما أوجدته الحضارات التي طورها أوربيو العصور القديمة، ليعلنوا عن احتكار كل هذه الميزات مجتمعة حتى ولو ظهرت متفرقة كعوامل مساعدة في حضارات أخرى، يقول عبد الله العروي: ((إذ بقدر ما تتسع وتتضمن الدراسات التاريخيه، بحثاً عن جذور ما يتقوى اقتناع الأوروبيين بأن حضارتهم تمتاز بالخصوصية التالية: العقل اليوناني، القانون الروماني، الفيودالية الجرمانية، الأخلاق المسيحية، استقلال المدن، التقشف البروتستانتي، الولع بالتقنيات والعلوم. يقر الدارسون الغربيون أن هذه العناصر توجد مجتمعة في الحضارة الأوروبية ولا توجد متلازمة إلا فيها، حتى وإن وجدت متفرقة في سواها)) (13).هكذا إذن تتخلق ذات حضارية متفوقة يحق لها أن تكون قدوة تقود الآخرين.

إن هذا التمركز الغربي عمل على تثبيت فكرة ((الغرب الأبدي)) المضاد لـ ((الشرق الأبدي)) من أجل تأكيد عناصر التطور المستمر في الغرب وغلبة عناصر الثبات في الشرق(14).

استبعاد الآخرين:

إن فكرة حضور الذات المتفوقة الطاغية والعظيمة، تنطوي على فكرة عدم قدرة الذوات الأخرى على التسامي و المنافسة، بالتالي البقاء في حالة فراده، وحالة الفرادة هذه تشير إلى أن كل ما حول الذات المتفردة وما يرتبط بها ماضياً وحاضراً ولاحقاً يجب أن يتصف بالتميز والتسامي، لهذا: ((أقام الفكر الغربي المتمركز حول ذاته تعارضاً بين اللغات والشعوب الهندية الأوروبية من جهة، واللغات والشعوب السامية... وتم إقرار التضاد الآتي: إن ((الأوروبيين)) المتحدرين عن الجنس الإغريقي يتسمون بميل فطري إلى ممارسة الحرية والعقل، بينما يتصف (الشرقيون) باستمرائهم العبودية، وعجزهم عن الممارسة العقلية الصحيحة)) ويعد غوبينو أبرز دعاة هذه النظرية.(15)

إن ترزيل الآخرين واستبعادهم من حيّز القيم الحضارية، هو أول ماتبرزه العنصرية والمركزية الغربية، ومثل هذا النهج لا يستطيع قيادته إلا المفكرون والقادة، ويجري استثمار ذلك في تبرير السيطرة على شعوب العالم، ف ((غوبينو يقول: ((الفحص الأول يبرز واقعة هامة: العرق الأبيض لا يظهر قط في الحالة البدائية التي نرى فيها العروق الأخرى)) وينقل د. عبد الله ابراهيم عن (فولتمان) قوله: ((العرق الشمالي هو بالجوهر مستودع الحضارة الأمين)) وغوبينو يقول كذلك: ((إن المسيحية هي أعلى تظاهر للثقافة)) في حين اعتبر ((رينان)) أن اللغات الهندية الأوربية بلغت درجة الكمال، بينما اللغات السامية شنيعة التركيب))(16)

هذا وغيره أدى بالمركزية الغربية إلى أن لا تقدم رؤية للعالم فقط بل قدمت مشروعاً سياسياً هو: ((مشروع تجانس الانسانية المستقبلي من خلال تعميم النموذج الغربي، وخطورة هذا المشروع أنه سوغ منطقياً التوسع الغربي، واحتلال العالم، وإبادة الحضارات وأحياناً إبادة شعوب بأكملها)) (17)

لا عجب إذاً أن نرى هنتنجتون وريث كل هذه الغطرسة والغرور والتمركز، يرى أن الحضارات تتصادم لأن المشروع الغربي قد طال أمده ولم يحسم المعركة مع العالم الآخر، فلا بد من الصدامات لتحقيقه، خاصة أن الغرب لا يزال يرى أن مشروعه يتعزز ويكتسب الأحقية في الوجود كما يرى فوكوياما.

obeikandl.com

يبدو أن المشروع الغربي لا يكفيه تعميم نموذجه الحضاري الذي نراه في كل جزئية من جزئيات حياة الشعوب من النظرية السياسية وقاذفات القنابل إلى دبابيس الورق وأحمر الشفاه، بل هو يريد العالم وآثار السياط الغربية بادية على جلده، حتى يتم إرضاء الغرور والنرجسية الغربية.

إن التمركز الغربي يقوم على استحضار وإبراز دونية الآخر، هذه الدونية تجعل التفريط به واحتقاره وحتى إبادته عملاً يكتسب شرعية حضارية، لأن الحياة حسب المشروع الغربي تليق بالسادة المتحصلين على الفضائل والميزات الغربية، من هنا نرى انخراط كبار مفكري الغرب بتبرير المشروع والتنظير له، فهيغل مثلاً يرى أن الشرق سحري وهو مجاز مركب من الخيال والخرافة والأسطورة والتأمل، وحكم على الشرقي بالثبات والسكون والذهول الدائم، حيث أول حكم يصدره بشأن الصين هو((ثبات الجوهر الصيني)). والهند في مخيلته لوحة رومانتيكية ملتبسة المكونات وغير واعية بذاتها، إنها ((بلد الشوق والحنين... عالماً ساحراً جذاباً)).

حتى ماركس ينخرط في رسم الصورة السلبية لشعوب الشرق وصولاً لتبرير الاستعمار، فيرى في الهند مجموعات رعوية كانت دوماً أساساً لنهوض الطغيان الشرقي، وإن انكلترا فجرت الثورة الاجتماعية في هندستان، بالتالي فإنها ـ كائنة ما كانت جرائمها ـ الأداة غير الواعية التي استخدمها التاريخ في إحداث تلك الثورة. وقال انجلز في احتلال فرنسا للجزائر : ((إن فتح الجزائر واقعة مهمة وموائمة لتقدم الحضارة... فإن البرجوازي المعاصر..... لأفضل من الولي الإقطاعي، أو اللص قاطع الطريق ومن الطور الهمجي في المجتمع الذي ينتميان إليه)) (18).

لقد اقتضى التمركز على الذات والنظرة الشوفينية الغربية المغلقة، تغييب فضائل الأمم والشعوب والأدوار الحضارية التي أدتها على مسرح التاريخ عن المناهج الدراسية للطلاب في المدارس والجامعات الأوروبية، وهذا عكس ما تفعله مناهج الأمم الأخرى التعليمية، كل هذا للإبقاء على الذات منتفخة ومحوراً، يقول عبد السلام الشدادي في لقاء مع جاك دريدا : ((إن طالباً يدرس الفلسفة في المدرسة العليا ((بفرنسا)) يتعلم كل شيء عن الفلسفة الغربية ولا شيء أو تقريباً لا شيء عن الفلسفة العربية، ولا عن الفكر النظري الهندي أو الصيني، ولا عن ((اللافلسفة))

اليابانية، وإن مفكراً غربياً حديثاً يعالج مشكلة الدين بوصفها مشكلة عامة يظل مركزاً على التراث الفلسفي والديني الغربيين ولا يمتلك رد الفعل ولا المؤهلات الضرورية ليدمج في تفكيره التراث الوافر الغني للمجتمعات الأخرى))(19).

روجه غارودي قبل ذلك كان قد أشار في كتابه ((حوار الحضارات)) إلى أنه تخرج في أقسام الفلسفة بالجامعات الفرنسية دون أن يسمع عن الفلسفات العربية الإسلامية أو الهندية أو الصينية.

التمركز واستبعاد الآخرين ليس نتاج العفوية، إنه مخطط، حيث ينقل الشدادي ((وكما يذكر بذلك جان لوك نانسي، فإن أوربا بوسعها أن تعين لنفسها الأصول الأكثر تنوعاً، غير أنها تجهر دائماً بتأسيس ذاتي مطلق، والتأسيس الذاتي المطلق يعني انعدام الأب والأم، والنمو دون جذور ودون أرض والارتقاء إلى السماء دون سلم)) (20). علماً أن هناك اعترافات غربية بلا علمية هذا التمركز وإلغاء دور الآخر في المساهمة بالتكوين الأوروبي، حيث يقول جاك دريدا ((وحدانية الأصل ستكون دائماً خدعة في تاريخ الثقافة)) كما ينقل الشدادي.(21)

الملمح الجرمي (الدموي) للمشروع الغربي:

كان الثمن الذي تطلبه المشروع الغربي في التمركز لكي يتحقق ويؤتي ثماره باهظاً، كان باهظاً إلى الحد الذي يصعب تصديقه، ويبدي تناقضه مع القيم التي أعلنها، وكانت أساليبه ونتائجه مثيرة للاشمئزاز، لقد كان ميكيا فيلياً أكثر من اللازم. إنه يتلخص بمفهوم ((الإبادة))، إبادة من لا يحقق وجوده نفعاً لهذا المشروع، أو يشكل عائقاً له. أما الوسائل فهي لطخة عار على صفحات التاريخ، والهدف هو الاستحواذ على العالم.

لقد لاحظ أدم سميث:(كان النجاح الأوربي ناتجاً عن تمكن أوربا من ثقافة العنف وانغماسها فيها) كما يورد نعوم تشومسكي(22).

openkanuli.com

كما يعتقد كلاوس كنور أن الانكليز أكثر القوى الاستعمارية الأوربية ممارسة وتعمداً للإبادة وأن هدفهم النهائي هو إفراغ الأرض من أهلها وتملكها ووضع اليد على ثرواتها. (23)

إنه مما يلفت الانتباه عبر التاريخ استعانة أصحاب المشاريع الكبرى صعبة التحقيق أو ذات الأثمان الباهظة، بالمبررات الدينية المطواعة وتجيير أعمالهم الخبيثة والإجرامية للدين وخدمة الآلهة.

يقول وليم براد فورد، حاكم مستعمرة بليموث مبرراً قتل الهنود الحمر: ((فمما يرضي الله ويفرحة أن تزور هؤلاء الهنود وأنت تحمل إليهم الأمراض والموت. هكذا يموت /950/ من كل ألف منهم، وينتن بعضهم فوق الأرض دون أن يجد من يدفنه. إن على المؤمنين أن يشكروا الله على فضله هذا ونعمته)) (24)

وفي ذروة وصف مفزع يقدمه ((توما أورتيث)) أحد الآباء الدومنيكان:((كما يمكنني التأكيد على أن الرب لم يخلق قط جنساً يفوقهم امتلاء بالرذائل والخصال الحيوانية، مجرداً من أي مزيج يجمع بين الصلاح والثقافة)) ويؤكد ((أوبيدو)) أنه لا يصح اختزال الهنود الحمر إلى مرتبة الحيوانات كالجواد والحمار، بل إلى الأشياء الجامدة كالخشب والحجر والحديد(25). و((إن كولومبوس لم يستطع أبداً أن يعترف بأن للهنود ذاتية خاصة بهم. ولهذا فإنه اكتشف أمريكا إلا أنه لم يكتشف الأمريكيين)) (26).

كل هذا من قبيل التبريرات الفكرية والعقدية التي جاءت مواكبة أو سابقة أو لاحقة لإبادة شعب، تقول آخر الإحصاءات إن مجموع من قتل منه على أيدي مستعمري أمريكا (المتحضرين) هو /112/ مليون نسمة(27).

أما عن الأساليب والأفكار الشريرة التي تم تطبيقها في عملية الإبادة، فحدث ولا حرج، إنها تبلغ في بشاعتها وقذارتها حد بشاعة وقذارة العقول التي ابتكرتها، وهذا أقل ما يمكن أن يوصف به مسيحيون (يدعون ذلك) ينتزعون طفلاً رضيعاً عن ثدي أمه الهندية ويرمونه إلى كلبهم الجائع الذي بدأ ينهشه على مرأى من أمه. أو يعملون على إبادة قبيلة هندية من مئات الأفراد فقط ليختبروا فيما إذا كانت سيوفهم قد شحذت جيداً(28).

وكما أن المستعمر الغربي في أمريكا كان موعوداً بالجنة مقابل عمله في إبادة الهنود، مما يرضي الإله حسب رأي كهنتهم، فكذلك كان موعوداً بحياة مترفه في حاضره. فمن الابتكارات القذرة للتدليل على قتل الهندي أن يسلخ القاتل فروة رأس القتيل كبرهان على عمله البطولي (النظيف)، وكان يتلقى على ذلك مكافأة مجزية تصل مائة جنيه لكل فروة وكانت تعادل أربعة أضعاف متوسط الدخل السنوي للمزارع في مستعمرات نيوانكلند. وكان بإمكان أي مستوطن عجوز أن يصطاد طفلين وثلاث نساء هنديات سنوياً ويتنعم بما لم يتنعم به جلالة الملك جيمس(29).

إن الإبادة الحضارية الغربية للهنود الحمر هي المثال الأكثر وضوحاً بين عمليات إبادة لا حصر لها نفذتها هذه الحضارة، وكل هذه العمليات كانت مخططة ومدروسة لخدمة المشروع الحضاري الغربي، وتكاد عملية إبادة الهنود تماثل عملية نقل الأفارقة لخدمة السادة البيض الأمريكيين، والتي كان من نتيجتها ثلاثون مليون ضحية حسب التقديرات، باعتبار أنه لم يصل واحد إلى أمريكا من هؤلاء الأفارقة إلا وكان المفقود معه عدة أشخاص آخرين.

إن الكثير من الغربيين ممن تحسست ضمائرهم هذه الشناعات، هم الأبرز في الحديث عنها وتصوير فظاعتها، فنعوم تشومسكي هذا المفكر الغربي (الأمريكي) لا يتوقف عن الكتابة عن جرائم الغرب، خاصة الأمريكي فيحدث عن العشرات لا بل المئات من عمليات الإبادة التي بلغ مجموع ضحاياها عشرات الملايين من البشر تمريراً لمصالح أمريكية، ويعد كتابه ((سنة 501 الغزو مستمر)) نموذجاً لهذه الكتابات، فالكتاب المنجز سنة /1993/ حيث كانت أمريكا قد اكتُشفت منذ خمسة قرون وسنة واحدة، يتحدث عن جريمة متواصلة من يوم اكتُشفت أمريكا وبدأت بغزو العالم، وهو ملحمة في وصف وهجاء الغزو الأمريكي للبشرية وفي التنديد والإشارة إلى المذابح والجرائم الأمريكية في مناطق مختلفة من الكرة الأرضية، لقد كان سبيلها إلى التفوق (الحضاري) إسالة أنهار الدماء في العالم.

ويتحدث محمد حسنين هيكل عن كتاب لمؤلف أمريكي آخر اسمه(ستانلي كارنوف) عنوانه (الإمبراطورية الأمريكية ربما صدر في أوائل القرن العشرين،

يحكي صاحبه بالتفاصيل ـ سياسية وأدباً ـ حكاية التوسع الأمريكي في آسيا. منذ أواخر القرن التاسع عشر، مبرراً وحشية الدور الأمريكي في سبيل السيطرة، وما أوقعه من مآس، مثبتاً غياب الأخلاق والمشاعر الإنسانية وإهمال القيم في سبيل المصالح(30).

ومن اللافت للانتباه أن يختار كارنوف لهذه الفصول عنوان: ((أمريكا تتجه إلى العولمة)). وهو يسبق تشومسكي بحوالي القرن في حديثه عن فظائع السياسة الأمريكية الغربية، وهو يسبق العولمة أيضاً بهذا القدر من الزمن، الفكرة التي يلتقي فيها مع تشومسكي هي أن أمريكا تحطم العالم لوضعه في جرابها.

لاشيء يرضى صاحب هذه الحضارة الجديدة كما يرضيه منظر القتل والدماء ولا شيء يشعره بالنشوة والقوة كما يشعره ذلك، لهذا السبب فقد كان المستعمرون يسخرون من مفهوم الحرب عند الهنود، إذ يمكن أن يحاربوا سبع سنين دون أن يسقط بينهم سبعة قتلى (31). هل يجب بالضرورة أن ترتبط الحضارة بالدماء؟!

مما لا شك فيه أن المثال الأبرز لسلبية وسوء السياسة الغربية المغرقة باستعلائها ونظرتها الدونية للآخرين يتمثل في دعمها الصارخ والواضح لإسرائيل متناسية ما سببته هذه السياسة من مآس للفلسطينيين الذين لا يزالون يتخبطون في المعاناة، وللعرب بشكل عام. ومثل هذه الأدوار الغربية تجد الأصوات ترتفع لنقدها حتى من قبل الغربيين، يقول تيري ايغلتون: ((فكلما أمعنت الحضارة الغربية في اقتلاعها جماعات كاملة من جذورها، وفي توليدها البؤس والبطالة الواسعين، وتقويضها منظومات الاعتقاد التقليدية، وخلقها موجات عاتية من الهجرة، كلما أدت هذه السياسات الضارية إلى ظهور المزيد من الثقافات الفرعية الدفاعية والنضالية التي تفتت المجتمع الغربي وتشظيه من الداخل، علماً أنها تولد قوى مشابهة في الخارج أيضاً))(32).

استمرار المشروع

كثيرون لا يستغربون أن ينطلق مشروع صدام الحضارات من أمريكا لأسباب :

أولها: إن أمريكا وحضارتها قامت على إخلاء هذه البلاد إلا من المهاجرين الجدد، فقد تم القضاء على السكان الأصليين وعلى شعوب وحضارات كالمايا والآزتك.

ثانيها: إن هؤلاء المهاجرين الأوائل ينتمي معظمهم إلى المغامرين في سبيل الثروة والباحثين عنها حتى في المجهول. وممن كانوا يشكلون خطراً على الاستقرار في بلدانهم كالمجرمين، مما يدفع حكومات هذه البلدان لإبعادهم إلى البلاد الجديدة بدل تحمل مسؤولية سجنهم أو ملاحقتهم. وربما استمر أسلوب عيشهم أو بعض هذا الأسلوب في ثقافة أحفادهم.

ثالثها: إن العمق الحضاري لأمريكا والذي لا يزيد عن مائتين أو ثلاثمائة سنة، لا يكرس في ثقافة أبنائها ذلك الانتماء إلى حضارة عريقة كما يحدث لدى الشعوب الأخرى التي تشعر أن امتدادها الحضاري ضارب في أعماق التاريخ لآلاف عديدة من السنين. هذا يفسر استهانة الجيوش الأمريكية بالثروات التراثية العراقية عند اجتياح بغداد، فلم يدافعوا عنها ولم يقوموا بحمايتها وصيانتها مع انتمائها إلى التراث الإنساني الخالد، هذا إذا اعتبرنا الأمريكيين بريئين تمام البراءة من العدوان على هذا التراث الذي لا يشعرون بقيمته، بل ربما يشعرون بحب الانتقام منه ومما يمثل.

يشير تيري إيغلتون إلى هذا المعنى إذ يقول: ((إذا كانت الحتمية الأوربية تنبع من أن أوربا تكاد تختنق بالتاريخ، فإن الإرادوية الأمريكية تتأتى من أن أمريكا تكاد تختنق من الافتقار إليه))(33) ويتابع في إبراز الحيثية الأمريكية : ((وإذا كانت الولايات المتحدة غير مقيدة نسبياً بالتاريخ، فهي بالمثل بعيدة بعداً شديداً عن الجغرافيا، هذا المبحث الذي تبدو فيه هوايتها وغرارتها بصورة مخجلة. ولأنها واحد من المجتمعات الأشد ضعفاً ومحدودية في هذه الدنيا، فإن الولايات المتحدة منبوذة في كل مكان ما عدا كندا (التي تشبهها كثيراً) وأمريكا اللاتينية (التي تختلف معها بصورة مخيفة)، علماً أنها لا تحس سوى إحساس طفيف إلى حد الإدهاش بالكيفية التي ترى فيها من الخارج))(34).

رابعها: لقائل أن يقول إن أمريكا قد وصلت إلى ذروة الحضارة العالمية، إلا أن إحساس الآخرين حتى من الأوروبيين أن هذا النمو المادي الهائل لم يرافقه نمو إنساني بالزخم والمستوى ذاته وإن الآداب والفنون والفلسفات لم تجد لها رواجاً في أمريكا إلا مؤخراً، مما يجعل أبناءها لا يتربون على قيم إنسانية متسامحة، وممتدة

obeikandi.com

بين الشعوب، وأن الفلسفات التي وجدت لها متسعاً في أمركيا أو ظهرت فيها تكرس التفرد والجشع والاغتصاب كالبراغماتية.

وغياب العمق الإنساني عن العلم يجعله يقترب من الغرائز بل وشرائع الغاب.

منطق الصدام وثقافة الصدام تتم تغذيتهما بشكل مستمر. فالرئيس كلنتون يرى أن الغرب ليس بينه وبين الإسلام أية مشكلة، وإنما المشكلات موجودة فقط مع بعض المتطرفين الإسلاميين. يعلق هنتنجتون على هذا قائلاً: ((أربعة عشر قرناً من التاريخ تقول عكس ذلك... صراع القرن العشرين بين الديمقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية ليس سوى ظاهرة سطحية وزائلة، إذا ما قورن بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية)) (35).. هذا الكلام يوحي بأن المشروع الإسلامي منذ وجوده قبل أربعة عشر قرناً وإلى الآن مصنف في صفوف أعداء الحضارة الغربية حسب منطق صاحب مشروع الصدام، وإن كل عداوة مع الحضارة الغربية أهون من عداوتها للإسلام.

إن ما تعلمناه جعلنا نعتقد أن الثقافة تصنع الإنسان بقيمه وعلاقاته ونشاطاته، إلا ثقافة الصدام ومنطق الصدام: ((الثقافة، كما ناقشنا تتبع القوة))(36). إنه قلب للمفاهيم والأدوار فبدل أن تكون الثقافة لها الدور الريادي أصبح هذا الدور للقوة. يذكر هذا بقول نعوم تشومسكي متهكماً على الحضارة الغربية (الأمريكية): ((لن يجد الذين حفظوا المبادئ الأساسية لغزو لـ /500/ عام غيباً أية صعوبة في فهم الفارق الأخلاقي الضخم بيننا وبين اليابانيين، تنبع الأخلاق من فوهة البندقية. ونحن من يملك البنادق))(37).

إن حيل ترزيل الآخر وأبلسته لتسهيل قتله جاهزة ومستمرة ولا تخطئها عين الخبير، دائماً نلاحظ كيف تتم برمجة التهم وإلصاقها بالآخرين شاؤوا أم أبوا لتسهيل قتلهم والاستيلاء على مقدراتهم.

لقد حدث هذا كثيراً في التاريخ، وأخيراً في أفغانستان وبعدها في العراق. يرى تشومسكي أن من الحيل الصغيرة التي تلجأ إليها الحكومة والصحافة الأمريكية. ((عندما تضبط ويدك في جيب غيرك فاصرخ(أمسكو اللص)، ولا تحاول الدفاع عن نفسك أبداً، لأنك إن فعلت تكون كمن يقر بأن هناك قضية تستوجب

الدفاع)) (38).. وهذا يدفع التهم بتخريب العالم بعيداً عن الغربي أو الأمريكي المتحضر الذي لا يفعل ما يلام عليه، بينما كل اللوم على البرابرة غير المتحضرين!

إن لهؤلاء فهماً محدداً للحرية، لا يجب أن تخرج خارج دائرته، فهي تعني عندهم أن تستطيع الحصول على ما تريد مما يمتلكه الآخرون. ينقل تشومسكي عن مصرفي أمريكي في ظل دكتاتورية جيمينيز الإجرامية في فنزويلا: ((لديك مطلق الحرية هنا لأن تفعل بأموالك ما تشاء، وبالنسبة لي فإن هذا يساوي كل الحرية السياسية في العالم))(39).

لا يرى الأمريكيون في ذلك عيباً كما لا يرون أنهم بذلك يعتدون على الشعوب، وإن تحقيق حريتهم ومكاسبهم على حساب الآخرين ومآسيهم يصنف خارج الحضارة. لهذا نرى أن وسائل الإعلام الأمريكية تسارع لنفي أي عمل سيء عن الأمريكيين لتلصقه بالآخرين، فالأمريكي في نظر هذه الوسائل دائماً طيب ومعتدى عليه، يعلق لويس هـ لافام على ذلك ساخراً: ((لم يكن الشر أبداً جزءاً عضوياً من المشهد الأمريكي أو الشخصية الأمريكية، فالشر سعلة قاتلة ومستوردة من دون ترخيص، ومرض أجنبي يتم تهريبه عن طريق الجمارك في شحنة فلسفة ألمانية أو أرز آسيوي. ولأن أمريكا بريئة بالتعريف، يخونها الآخرون دوماً، كما في بيرل هاربر... وخليج هافانا، وبما أنه تمت خيانتنا، نستطيع دوماً أن نبرز استخدامنا للوسائل الوحشية أو المخالفة للروح المسيحية في سبيل الدفاع عن سفينة الأمان في وجه خيانة العالم))(40).

إن الحضارة أو الثقافة الغربية بخصوصيتها الأمريكية، أضحت تثير الهجوم والتعليقات عليها وعلى من يعتمدونها في منطقهم، حتى أن بيرلسكوني (رئيس وزراء إيطاليا) الذي استخدم هنتنجتون في هذيانه المحموم عن أفضلية الغرب، وكيف أن (لدينا) عباقرة مثل موتسارت ومايكل أنجلو في ما (أنهم) يفتقرون إلى ذلك، اضطر أن يقدم اعتذاره لاحقاً عن إهانته للإسلام. لكن بعدما أعطت هذه التصريحات مدلولها وفهمت الرسالة(41).

يبدو أن هذا التطرف الأمريكي تجاه الآخرين أصبح يثير أبناء الحضارة الغربية ويصيبهم بالحرج خاصة في أوربا، فقد أورد لويس هـ لافام: ((ذكر مؤلف روايات

غامضة استفتاء حديثاً للرأي العام الفرنسي طلب فيه (الصور التي تخطر على البال عندما تفكر بأمريكا) أغلبية المجيبين والذين قدمت لهم قائمة قصيرة من الكلمات التي يمكن أن تنطبق على الولايات المتحدة، اختارت مرادفات للبربرية: ((العنف)) ((67 في المائة)) ((القوة)) (66 في المائة) ((اللامساواة)) (49 في المائة) ((العنصرية)) (42 في المائة) عشرون في المائة فقط من المجيبين اختاروا ((الحرية)) و4 في المائة اختاروا ((الكرم)).))(42)

وهناك من سفّه رأي هنتنجتون باعتباره ليس الشخص الذي يحق له الحكم على الإسلام والمسلمين، بداعي عدم الاختصاص، أو القصور. يقول فرد هاليداي: ((هنتنجتون لا يفكر في العالم الإسلامي بشكل خاص، لأنه لا يعرف عنه شيئا، اهتمامه منصب على الصين واليابان))(43).

في الوقت ذاته هناك من الغربيين من يشكك بمصداقية وشرعية التمركز الغربي عن طريق الاعتراف بفضل الآخرين ودورهم الحضاري، مما يجعل حضارة الغرب تنتظم تاريخياً في رتل الحضارات، والاعتراف بالدَّين الذي في رقبة الغرب لحضارات أخرى، مما ينفي الكمال عن حضارتهم وإضفاء الفضل على من ساهم في وصولها إلى ما هي عليه، وهذا مطعن للتمركز الذي يحاول أن يتساوى مع الكمال.

ينقل د. أمين إسبر عن الكاتب البريطاني مونتغمري وات في كتابه ((أثر الحضارة الإسلامية على أوربا)) قوله: ((إن علاقتنا الطيبة مع العرب والشعوب الإسلامية الأخرى تطلب منا أن نعي، حتى النهاية، مدى ما ندين به لهم، ذلك أن السكوت عن هذه الحقيقة أو إنكارها ليس إلا اعتزازاً كاذباً))(44).

كما يورد رأي غوستاف لوبون: إن العرب وحدهم كانوا أساتذة الأمم النصرانية عدة قرون، وإننا لم نطلع على علماء قدماءاليونان والرومان إلا بفضل العرب (45).

الحضارات ومراكز القيادة:

من سمات الحضارات الرئيسية أن يكون لها دولة مركز، فإذا كانت الحضارة تشكل دولة واحدة كانت هي المركز، وإذا كانت مجموعة من الدول كانت الدولة الأكثر قوة وتقدماً هي المركز، ويكون لها شيء من الهيمنة أو

obeikandl.com

السلطة على الدول الأقل قوة ولو من الوجهة المعنوية. هذه الدولة من شأنها قيادة المجموعة الحضارية وترأسها، ثم قد يتطور الأمر لتمثيلها والحديث باسمها، ثم في الحلول محلها في بعض القضايا وصولاً إلى محاولة إلغاء دورها، عمداً أو تلقائياً.

الحضارة اليابانية في توصيف هنتنجتون تتألف من دولة واحدة، والحضارة الصينية تتزعمها دولة المركز الصين، والحضارة الأرثوذكسية تتزعمها روسيا، والحضارة الغربية تتزعمها الولايات المتحدة، وهذه دول مركز. الحضارة الأفريقية وحضارة أمريكا اللاتينية، لا يحلل أوضاعها بشكل كافٍ فهما خاملتان، الحضارة الإسلامية مع ما يتوقع لها من دور، ليس في التقدم الحضاري بل في المشاكسة وتوليد الصراعات، ليس لها دولة مركز وهذا عيبها، أي ليس لها زعامة أو قيادة، بالتالي تصعب مخاطبتها وتنظيمها.

دول المركز في رأي هنتنجتون هي مصدر النظام: ((العالم سيتم تنظيمه على اساس الحضارات أو لن ينظم أبداً. دول المركز في الحضارات هي مصادر النظام))(46).

ألا يمكن الرد على هنتنجتون بأن دول المركز تبتلع غيرها، وهي بدلاً من مساعدة الدول الصغيرة أو الأقل قوة على النهوض تحاول عرقلة نهوضها إبقاء على زعامتها، وتحاول إلغاءها خوفاً من المنافسة؟ هل تسمح أمريكا مثلاً لدول صغيرة في الحضارة الغربية أن تفرض رأيها حتى ولو كان صائباً؟ إن المداولات التي جرت قبل حرب أمريكا على العراق تعطي صورة عن مدى ديمقراطية الحوار بين دول المركز ودول الأطراف، وكيف تلغي وتهمش الدول الأخرى مهما كانت قوتها إذا خالفت إرادة المركز.

المراكز في هذه الحالة ليست عامل حوار بين الحضارات هي أداة زعامة وتسلط.

قد يكون لهذه المراكز دور في الحوار بين تجمعات سياسية أو اقتصادية، ولكنها قد تتحول إلى دكتاتوريات داخلية، أي داخل حضاراتها، فتفرض رأيها، استجابة لمنطق القوة التي تتمتع بها، وقليلة أو ربما كانت غير موجودة التجارب التي كانت فيها دول المركز عاملاً مساعداً يرى في غيره مكافئاً له. بالتالي قد لا تكون ذات دور متميز في حوار يجري بين الحضارات.

obeikandi.com

ثم إن للحضارة حوارها الذي لا يخضع لإرادوية السياسة ودول المركز، وقد لا تكون هذه الدول هي الأكثر تحضراً، فلماذا يكون لها الدور الأول؟ قد تكون الولايات المتحدة هي الأقوى اقتصادياً وعسكرياً، وهي صاحبة الباع الأطول في التكنولوجيا، لكن من قال إن دورها الحضاري أو مستواها يفوق مستوى فرنسا وشعبها العريق في هذا المجال؟ إن التجارب لا تؤيد ذلك. من جهة ثانية، فإن البشرية لم تنس ما فعله الصراع على زعامة المراكز المزعومة. فمعروف ذلك الدور الذي لعبته النازية مثلاً على مسرح التاريخ في القرن العشرين في محاولتها لانتزاع زعامة ما، ومعروفة نظرتها العنصرية التي عملت على إلغاء وإقصاء حضارات وشعوباً لها حضورها، والاستخفاف بهذا الحضور، وشدة التمركز حول الأنا الجرمانية، واستخدام أعنف الوسائل في تحطيم الآخرين محل الإلغاء، كي لا يبقى في الساحة سوى الأنا النازية، ومعلوم أن الصدام الذي أحدثته مع غيرها من الشعوب والحضارات لم يقتصر على مخالفيها الحضاريين، بل أول ما وقع عدوانها وصدامها على شركائها في الحضارة الغربية، كما أن الواضح جداً أن الصراع كان يدور على الدور العالمي الذي تريد أن تلعبه الرأسمالية الألمانية الناهضة، وضرورة أن تمتد سيطرتها على العالم بديلاً أو إلى جوار السيطرة البريطانية والفرنسية، وأهمية أن يكون لها دور استعماري يوازي قوتها الاقتصادية العسكرية. والآن تقوم أمريكا بدور مشابه فهي وريثة امبراطوريات العالم الكبرى التي تحطم بعضها والتي عملت أمريكا على تحطيمها ليسهل عليها التربع فوق هذا الحطام الامبراطوري، ولا يخلو هذا التحييد والإقصاء للامبراطوريات من الصدام (47). هذا الدور الذي تقوم به أمريكا، والذي بدأ يحدده الخيار العسكري كما يقول د. سمير أمين : ((يهدد جميع الشعوب. فهو ينبع من المنطق ذاته الذي تبناه منذ عهد قريب أدولف هتلر، والقائم على استخدام العنف العسكري من أجل تعديل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية لمصلحة ((الجنس الآري)) الجديد. يحدد هذا الخيار جميع الظروف السياسية بفرضه نفسه على مقدمة المشهد، حيث أن استمرار هيمنة هذا المخطط سيضعف إلى أقصى حد جميع المميزات التي تتمكن الشعوب من الحصول عليها عبر نضالها الاجتماعي والديمقراطي. ويصبح تالياً إفشال المخطط العسكري الأمريكي مهمة الجميع الأولى، ومسؤوليتنا الكبرى))(48).

obeikandi.com

هوامش الفصل الثاني

1 - ادريس هاني، حوار الحضارات، المركز الثقافي العربي، ط1 /2002/ص105

2 - أمين اسبر، الحوار والحضارة العربية الإسلامية، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 /2003/، ص233.

3 - فراس السواح، لغز عشتار، دار الكندي، ط3 /1988/.

4 - د. نجاح كاظم، العرب وعصر العولمة، المعلومات: البعد الخامس، المركز الثقافي العربي، ط1 /2002/ ص302.

5 - ادريس هاني، المرجع السابق، ص132.

6 - المرجع السابق ص161

7 - صدام الحضارات (مرجع مر ذكرة)، المقدمة ص11.

8 - المرجع السابق ص126.

9 - المرجع السابق ص109.

10 - كارل ر. بوبر، اسطورة الإطار، في دفاع عن العلم والعقلانية، تحرير: مارك أنوترنو، ترجمة. أ . د. يمنى طريف الخولي، سلسلة، عالم المعرفة، الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد ابريل ـ مايو /2003/ رقم /292/ ص223.

11 - المرجع السابق، حاشية، ص306.

12 - المرجع السابق ص 12 - 13

13 - نقلاً عن ادريس هاني، حوار الحضارات، مرجع سابق ص56.

14 - د. عبد الله ابراهيم، المركزية الغربية ـ إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، ط1 /1997/، الدار البيضاء ـ بيروت ص19.

15 -المرجع السابق ص 25.

obeikandi.com

16 - المرجع السابق ص26.

17 - المرجع السابق ص33.

18 - نقلاً عن المرجع السابق ص 264 وما بعد.

19 - عبد السلام الشداوي، مقال بعنوان: أوربا غير أوربا، منشور في كتاب: لقاء الرباط مع جاك دريد (لغات وتفكيكات في الثقافة العربية)، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، ط 1 /1998/ ص42.

20 - المرجع السابق ص50.

21 - المرجع السابق ص 50.

22 - نعوم تشومسكي، سنة 501 الغزو مستمر، ترجمة: مي النبهان، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، /1996/ ص17.

23 - منير العكش، أمريكا والكنعانيون الحمر، مجلة الكرمل /70 ـ 71/ شتاء ـ ربيع /2002/ص56.

24 - المرجع السابق ص43.

25 - د. عبد الله ابراهيم، المرجع السابق ص251.

26 - المرجع السابق ص249.

27 - منير العكش، المرجع السابق ص58.

28 - د. عبد الله ابراهيم، المرجع السابق ص252.

29 - منير العكش، المرجع السابق ص62.

30 - محمد حسنين هيكل، وجهات نظر، عدد/50/ مارس /2003/. كما نشر المقال في جريدة السفير.

31 - منير العكش، المرجع السابق . ص59.

32 - تيري إيغلتون، فكرة الثقافة، ترجمة، ثائر ديب، دار الحور للنشر والتوزيع ـ اللاذقية ـ بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر ص142.

33 - المرجع السابق ص186.

34 - المرجع السابق ص 187.

35 - صدام الحضارات . ص388.

obeikandl.com

36 - المرجع السابق ص502.

37 - نعوم تشومسكي، المرجع السابق ص418.

38 - نعوم تشومسكي، المرجع السابق ص430.

39 - نعوم تشومسكي، المرجع السابق ص171.

40 - لويس هـ لافام، رئيس تحرير مجلة هاربرز، مقال بعنوان: روما الأمريكية، عن نظرية الإمبراطورية الفاضلة، نشر في مجلة هاربرز عدد أغسطس /2001/ ونشرته مجلة الثقافة العالمية بترجمة: شادي عمران بطاح، عدد/117/ السنة /22/ مارس - ابريل /2003/ ص170.

41 - د. ادوارد سعيد، صدام الجهالات، نشر على الانترنت بتاريخ 2002/8/24.

42 - لويس هـ لافام، المرجع السابق ص168.

43 - فرد هاليداي، صدام الحضارات أو حين يلتقي هنتنجتون مع غلاة القوميين، محاضرة ألقاها في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، ترجمة: مرام المصري، عن الانترنت.

44 - د. أمين اسبر، الحوار والحضارة العربية الإسلامية، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1 /2003/ ص136.

45 - المرجع السابق ص137.

46 - صدام الحضارات ص254.

47 - محمد حسنين هيكل، المرجع السابق.

48 - د. سمير أمين، طموح الولايات المتحدة اللامحدود، جريدة النهار 24+2003/3/25.

❖ ❖ ❖

obeikandi.com